كتاب بيان الحجة التي سار الدليل

للشيخ ابن عربي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري رحمه الله من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينجي احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرجه ايضا في موضع آخر من كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ومغفرته وخرج ايضا من حديثها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعملوا ولن يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها الى الله وان قل اشتملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السير والسلوك الى الله في طريقه الموصل اليه اما الاصل فهو ان عمل الانسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة وان ذلك كله انما يحصل بمغفرة الله ورحمته وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى والذين اخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار فقرن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة فدل على انه لا ينال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته قال بعض السلف الآخرة اما عفو الله او النار والدنيا اما لعنة الله او الهلكة وكان محمد بن واسع يودع اصحابه عند موته ويقول عليكم السلام الى النار او عفو الله فاما قوله تعالى وتلك

الجنة

وتركت في غبراء يكره وردها ... تسفي على البريح حين اودع
ان الحوادث يختزمن وانما ... عمر الفتى في اهله مستودع
يسعى ويجهد جاهدا مستهترا ... جدا وليس يأكل ما يجمع
حتى اذا اوفى الحمام لوقته ... ولكل جنب لا اباك مضجع

ولبعضهم

كم يبطن الارض ثاو ... من وزير وامير وصغير الشان عبد خامل الذكر حقير
لو تأملت قبور ... القوم في يوم عسير لم تميز ولم تعرف غنيا من فقير

وروي عن ابراهيم بن ادهم انه قرأ على قبر

ما احد اكرم من مفرد ... في قبره اعماله تونسه
منعم الجسم وفي روضة ... زينها الله فهي مجلسه

ولبعض المتقدمين

وان كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضاه الله تشغل
فلم يصحب الانسان من بعد موته ... الى قبره الا الذي كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله ... مقيم قليلا عندهم ثم يرحل

تم الكتاب بعون الملك الوهاب بقلم افقر الورى الى الله تعالى
واحوجهم اليه الملتجي بمن لا له ثاني عبد الله بن درويش
ابن مبارك العدساني عفى عنهم وغفر لهم ولمن دعا لهم
بالعفو والمغفرة ولمن نظر الى هذا الكتاب ورأى
ما فيه من التحريف والغلط فاصلحه وذكر
بنهار الجمعة رابع ربيع الاول سنة ١٢١٨
من هجرته عليه افضل الصلاة
واتم التسليم
والحمد لله رب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية قد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين احدهما ان
دخول الجنة برحمة الله وكما انقسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة
كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقسام المنازل
بالاعمال والثاني ان الباء المثبتة في قوله بما كنتم تعملون وقوله بما اسلفتم
في الايام الخالية باء السببية وقد جعل الله العمل سببا لدخول الجنة والباء
المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله بالمقابلة
والمعاوضة والتقدير لن يستحق احد دخول الجنة بعمل يعمله فانه ربما
توهم من يتوهم ان الجنة ثمن الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول
الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها بتسليم سلعته اليه فنفى بذلك
هذا التوهم وبين ان العمل وان كان سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله
ورحمته فصار الدخول بها راجعا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لانه هو المتفضل
بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يبق لاحد دخول على العمل نفسه وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع يذكر
ان عذبوا فبعدله او انعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

فان قيل فقد روي حبيب بن الشهيد عن الحسن قال الحمد لله ثمن كل نعمة
ولا اله الا الله ثمن الجنة وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث انس
وابي ذر وغيرهما وان كان في اسانيدها ضعف ويشهد لذلك قول الله عز
وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية
فجعل الجنة ثمنا للنفوس والاموال فالجواب ان الله سبحانه
وتعالى بفضله ورحمته وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما مدبهم اليه
من طاعته على حسب ما يتعارفونه بينهم من تصرفاتهم المعهودة المألوفة
لهم وجعل نفسه مشتريا منهم ومستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين

ليكون ذكرا دعى الى استجابتهم لدعوتهم ومبادرتهم الى طاعته والا ففى الحقيقة
الكل له وملكه ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملكه
له كما امرنا عند المصايب ان نقول انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح
من بذل له نفسه وماله وجعله تعالى ومقرضا كالذى له ملك يبيعه
ويقرضه لغيره ممن لا يملكه عليه كذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد
مدح عليها ونسبها اليها وجعلها شكرا لنعمه ومكافاة لها وقد
روى ابن ماجة من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة
فقال الحمد لله الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وكذا قال عمر بن عبد
العزيز والحسن وغيرهما من السلف واشكل ذلك على كثير من العلماء قديما وحديثا
وعلى ما قررناه معناه ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيوية والحمد من
النعم الدينية والنعم الدينية افضل من النعم الدنيوية ولكن لما
قال الحمد منسوبا الى العبد لفعله له وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم
النعمتين مكافيا للنعمة الاخرى ولهذا جاء فى الاثر الحمد لله حمد يوافى نعمه
ويكافئ مزيده فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر
فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا
يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فلما اعترفوا لله بنعمته
عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوا الله على ذلك كله جوزوا بان
نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا
عليه ونظير هذا ما قاله بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يا
رب انت قضيت على قال ربه انك اذنبت وانت عصيت قال العبد يا رب
انا اخطات وانا اسأت وانا اذنبت قال الله انا قضيت عليك وقدرت
وانا اغفر لك وقد تحقق معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا
الجنة بعمله اولن ينجى احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هى من فضل الله
عز وجل واحسانه حيث جازى بالحسنة عشرا ثم ضاعفها الى سبع مائة

ضعف

لعا ملينها صح

ظ كان

ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه ولو جازى بالحسنة مثلها
كالسيئات لم يقل الحسنات على احباط السيئات فكان يهلك صاحب العمل
لا محالة كما قال ابن مسعود فى صفة الحسنات ان كان وليا لله ففضل لله له
مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة وان كان شقيا قال الملك
يا رب فنيت حسناته وبقى له طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم فاضيفوها
الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار فتبين بهذا ان من اراد
الله سعادته اضعف له حسناته حتى يستوفى منها الغرماء ويبقى له منها
مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته
ومن اراد الله شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن اراد
سعادته بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها وتبقى
لهم مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار فهذا عدله وذلك
فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد
سيئة واذا جاء عدله لم يبق لاحد حسنة وايضا فقد ثبت عن النبى
انه قال من نوقش الحساب هلك وفى رواية عذب وفى رواية خصم وخرج
ابو نعيم من حديث على مرفوعا اوحى الله الى نبى من الانبياء بنى اسرائيل
قل لاهل طاعتى من امتك لا يتكلوا على اعمالهم فانى لا انا صى عبدا الحساب
يوم القيمة اشاء اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتى من امتك لا يلقوا
بايديهم فانى اغفر الذنب العظيم ولا ابالى وقال عبد العزيز بن ابى
رواد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين
انى لا اضع عدلى وحسابى على عبدى الا هلك قال ابن عيينة المناقشة
سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيئا وقال ابن يزيد الحساب الشديد
الذى ليس فيه شئ من العفو والحساب اليسير الذى تغفر ذنوبه وتقبل
حسناته فتبين بهذا ان النجاة للعبد بدون العفو والرحمة والتجاوز وانه
متى اقيم العدل على عبد هلك ومما يبين ذلك ايضا قوله تعالى ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس يسالون عن النعيم فى الدنيا

كثيرون ع

فكانه عجب فقال يا رب ابشر المذنبين
وانذر الصديقين قال نعم بشر المذنبين
انه لا يتعاظمنى ذنب اغفره وانذر الصديقين

صح

وهل قاموا بشكره اولا فمن طولب بالشكر على كل نعمة نعم من الله عافيه وصحة
جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصى ذلك عليه لم تف اعماله
كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشكر
فيستحق بها صاحبها العذاب بذلك وخرج الخرائطي في كتاب الشكر من
حديث عبد الله بن عمر مرفوعا يؤتى بعبد يوم القيمة فيوقف بين يدي
الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه فينظرون
فيقولون لا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله
سيئه وصالحه فينظرون فيجدون كفافا فيقول عبدي قد قبلت حسناتك
وغفرت لك سيئاتك وقد وهبت لك نعمتي فيما بينك وخرج الطبراني
من حديث ابن عمر مرفوعا ان الرجل ياتي يوم القيمة بالعمل ولو وضع على
جبل لاثقله فتقوم النعمة من النعم فتكاد ان تستغرقه ذلك الا ان يتطاول
الله برحمته وخرج ابن ابي الدنيا من حديث انس مرفوعا يؤتى با
النعم يوم القيمة ويؤتى بالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة
من نعم خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها
وباسناده عن وهب بن منبه قال عبد عابد خمسين عاما فاوحى الله
اليه اني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله له
لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فقام فاتاه
ملك فشكا اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل له
يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق وفي صحيح الحاكم
عن جابر مرفوعا عن جبريل عليه السلام ان عابدا عبد الله عز وجل
على راس جبل في البحر خمسمائة سنة ثم سال ربه ان يقبضه ساجدا قال
جبريل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجده في العلم انه يبعث
يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب عز وجل ادخلوا
عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد يا رب بعملي فيعذب ذلك ثلاث مرات
ثم يقول الله للملائكة قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فيجدون نعمة

فيستحق

البصر قد احاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد له فيقول
ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي يا رحمتك ادخلني الجنة برحمتك
ادخلني الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله
يا محمد فحقق معرفة هذه الامور عرف ان العمل وان عظم فانه لا يستقل
بنجاة العبد ولا يستحق على الله دخول الجنة ولا النجاة من النار وحينئذ
فيفلس العبد من عمله يائسا من الاتكال عليه ومن النظر اليه
وان كثر العمل وحسن فكيف بمن ليس له كثير عمل او ليس له عمل حسن
فان هذا ينبغي ان يشغله الفكر في التقصير من عمله ويشتغل بالتوبة من
تقصيره والاستغفار منه فما من حسن عمله وكثر فانه ينبغي ان يشتغل
بالشكر عليه فان ذلك من اعظم نعم الله على عبده فيجب مقابلته
بالشكر عليه وبرؤية التقصير في القيام بشكره كما كان وهيب ابن الورد
اذا سئل عمل من الاعمال يقول لا تسالوا اجره ولكن سلوا عما يجب على من
هدي له من الشكر عليه وكان ابو سليمان يقول كيف يعجب عاقل
بعمله وانما يعد العمل نعمة من نعم الله عز وجل انما ينبغي له ان يشكر
ويتواضع وانما يجب بعمله القدرية يعني الذين لا يرون ان اعمال العباد
مخلوقة لله عز وجل وما احسن ما قال ابو بكر النهشلي يوم مات
داود الطائي وقال ابن السماك يثني عليه بصالح عمله ويبكي الناس
يبكون ويصدقونه على ما قاله ويشهدون بما يثني به عليه فقام
ابو بكر النهشلي فقال اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله الى عمله وفي سنن
ابي داود عن زيد بن ثابت مرفوعا لو عذب الله اهل سمواته واهل
ارضه ليعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم
من اعمالهم وفي صحيح الحاكم عن جابر ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال واذنوباه واذنوباه قالها مرتين او ثلاثا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك اوسع لي من ذنوبي ورحمتك
ارجى عندي من عملي فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال

عن

رحمته

قم فقد غفر لك ذنوبي إن فكرت فيها كثيرة ورحمة ربي من ذنوبي أوسع
وما طمع في صالح قد عملته ولكنني في رحمة الله أطمع
فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب
النجاة من النار ولا دخول الجنة فضلا أن يوجب بنفسه الوصول إلى أعلا
ما في الجنة من منازل المقربين والنظر إلى وجه رب العالمين وإنما ذلك كله
برحمة الله وفضله ومغفرته فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره
عن عمله بالكلية وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنته عليه كما سئل
بعض العارفين أي الأعمال أفضل قال رؤية فضل الله عز وجل والله
أن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم بالقادر
فيتعين حينئذ على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول
الجنة والقرب من مولاه والنظر إليه في دار كرامته أن يطلب ذلك بالأسباب
الموصلة إلى ذلك أسباب الأعمال التي جعلها الله موصلة إليها وليس
ذلك موجبا إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته فيها لينال
ما عند الله من الكرامة إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل الوصول إلى ذلك
أسبابا من الأعمال التي جعلها موصلة إليها وليس ذلك موجودا إلا
فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله وأخبر عنه رسوله أنه
يقرب إلى الله ويوجب رضوانه ومغفرته وأنه مما يحبه الله أو
أحب الأعمال إلى الله عز وجل فقد قال تعالى إن رحمة الله قريب
من المحسنين وقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون
قالوا فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الإحسان
التي شرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
والتقرب بذلك إلى الله عز وجل فإنه لا طريق للعبد يوصله إلى رضى
مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك وقد أشار النبي
صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث المشار إليها في أول الجزء
من رواية عائشة وأبي هريرة رضي الله عنه إلى أن أحب الأعمال

فالواجب ظ

إلى الله عز وجل

إلى الله عز وجل شيئان أحدهما ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلا
وهكذا كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وإنه واجه من بعده
وكان ينهى عن قطع العمل وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لا تكن مثل فلان
كان يقوم الليل فترك قيام الليل وقال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال
الحسن إذا انظر إليك الشيطان فرآك مداوما على طاعة الله فيضاك
ويفاك فرآك مداوما مدبرة رفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا
طمع فيك والثاني أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد
والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير
كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسروا ولا تعسروا وقال إنما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا معسرين وفي المسند عن ابن عباس قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان إلى الله أحب قال
قال الحنيفية السمحة وفيه أيضا عن محجن بن الأدرع أن النبي صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد فرأى رجلا يصلي فقال اللهم صل عليه صل قال فقيل
له يا نبي الله هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة أو من أكثر أهل
المدينة صلاة فقال لا تسمعوه فتهلكوه مرتين أو ثلاثا إنكم أمة
أريد بكم اليسر وفي رواية أخرى له قال إن خير دينكم أيسره
إن خير دينكم أيسره وفي رواية أخرى له قال إنكم لن تبلغوا هذا
الأمر بالغلبة وخرجه حميد بن زنجويه وزاد فيه قال اكلفوا من
العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا الغدوة والروحة وشيء من
الدلجة وفي المسند عن بريدة قال خرجت فإذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمشي فلحقته فإذا نحن بين يديه برجل يصلي يكثر الركوع
والسجود قال أتراه يرائي قلت الله ورسوله أعلم قال قال

لعله عمل أصحابه

لعله أترونه

فنزل يده من يدي ثم جمع بين يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول عليكم
هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه
آخر مرسل وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا اخذ بالعسر
ولن ياخذ باليسر ثم وقع في صدره كلم فخرج من المسجد فلم ير فيه
بعد ذلك وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل والاختصا
وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن
العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم وقال لكني اصوم وافطر
واقوم وانام واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى
بعبد الله بعمرو ان يقرا القرآن في كل سبع وفي رواية انتهى به الى قراءته
في كل ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في اقل من ثلاث وانتهى به في الصيام
الى صيام داود عليه السلام فقوله في حديث ابي هريرة وعائشة
سددوا وقاربوا المراد بالتشديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط
في العبادة فلا يقصر فيما امر به ولا يحمل منها ما لا يطيقه قال
النظر بن شميل السداد القصد في الدين والسبل وكذا المقاربة المراد
بها التوسط بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد ومتقاربات
وهو المراد بقوله في الرواية الاخرى عليكم هديا قاصدا وقوله وابشروا
يعني ان مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فانه يصل
ويسبق الدايب المجتهد في الاعمال فان طريقة الاقتصاد والمقاربة
افضل من غيرهما فمن سلكهما فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في سنة
خير من الاجتهاد في غيرها وخير الهدي هدي محمد صلى الله
عليه وسلم فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله من غيره وليست الفضائل
بكثرة الاعمال البدنية لكن يكونها خالصة لله صوابا على متابعة
السنة وبكثرة معارف القلوب واعمالها فمن كان بالله اعلم وبدينه
واحكامه وشرائعه وله اخوف واحب وارجى فهو افضل ممن ليس
كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح وان هذا المعنى الاشارة في حديث

عائشة

عائشة بقوله النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا واعلموا
ان لن يدخل احدا منكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان
قل فامر بالاقتصاد في العمل وان يضم الى ذلك العلم باحب الاعمال الى الله
وبان العمل وحده لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض السلف ما سبقهم
ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم
الذي كان في صدر ابي بكر المحبة والنصيحة لعباده وقال طائفة
من العارفين ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة
الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للامة نزاد بعضهم وبذم
نفوسهم وقال آخرون انما تفاوتوا بالارادات لم يتفاوتوا بكثرة
الصيام ولا الصلاة وذكر لابي سليمان طول اعمار بني اسرائيل
وشدة اجتهادهم في الاعمال وان من الناس من غبطهم بذلك فقال
انما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده او كما قال وقال
ابن مسعود لاصحابه انتم اكثر صوما وصلاة من اصحاب محمد وهم
كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذاك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا
وارغب في الاخرة يشير الى ان الصحابة فاقوا من بعدهم بشدة
تعلق قلوبهم بالاخرة ورغبتهم فيها واعراضهم عن الدنيا بتحقيرها
وتصغيرها وان كانت في ايديهم فكانت قلوبهم منها فارغة
وبالاخرة مشتغلة وهذه الحال ورثوها من نبيهم صلى الله عليه
وسلم فانه كان اشد الخلق فراغا بقلبه من الدنيا وتعلقا بالله
وبالدار الاخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء النبوة
وسياسة الدين والدنيا وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك
اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان
في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه الى
ما وصلت اليه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدنيا وتوطنها للاخرة
فافضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص

اصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال العلية فان
سفر الاخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان جاء رجل الى بعض العارفين
قال له قطعت اليك مسافة فقال له ليس هذا الامر بقطع المسافات
فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك قال ابو يزيد رايت
رب العزة في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك قال اترك نفسك
وتعال ما اعطيت امة ما اعطيت هذه الامة ببركة متابعة نبيها
صلى الله عليه وسلم حيث كان افضل الخلق وهديه اكمل الهدي
مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الاصار والاغلال
عن امته فمن اطاعه فقد اطاع الله واحبه الله واهتدى بهديه فمن
جملة ما حصل لامته ببركته وتيسر شريعته انه من صلى العشا
في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام
الليل كله فكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه لا سيما ان نام على
طهر وذكر حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر
فكانما صام الشهر كله فهو صائم لنفسه الشهر في مضاعفة الله ومفطر
له في رخصة الله والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر ومن قوي
ان يقوم من الليل ثم غلبته عيناه فنام كتب له ما نوى ونومه عليه
صدقة قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف
يسبق بها الجاهلين وصيامهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح
رب قائم حضه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش
كم من مستغفر مسقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر
وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال ليس الشان فيمن يقوم الليل
انما الشان فيمن ينام الليل وهو على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب
من لي بمثل سير المدلج تمشي رويد وتجي في الاول
وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة كقوله
في الرواية الاخرى استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني

ان هذه

ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي
آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله هذه الاوقات في قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن
الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله تعالى طرفي النهار في مواضع كثيرة
من كتابه كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا
وقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار في ذكر زكريا عليه
السلام وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقال
وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات الثلاثة منها وقتان وهما اول
النهار واخره يجمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع فاما
الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس
وهما البردان الذين من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها
الصلاة الوسطى واما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى
تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب وقد ورد في فضله نصوص
كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمسي وفي فضل
من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا
ابن آدم اذكرني ساعة اول النهار وساعة من آخره اغفر لك ما بين ذلك الا
الكبائر او تتوب منها وكان السلف لآخر النهار اشد تعظيما من اوله قال
ابن المبارك بلغنا ان من ختم نهاره بذكر كتب نهاره كله ذكرا قال
ابو الجلد بلغنا ان الله تعالى كل يوم الى الدنيا ينظر الى اعمال بني آدم
ورأى بعض السلف ابا جعفر القاري في المنام فقال له قل لابي حازم
يعني الاعرج الزاهد اكيس اكيس فان الله وملائكته يتراون مجلسك

بالعشيات والظاهرات لان اياحازم كان يقص على الناس آخر النهار وقد جاء
في حديث ان الذكر بعد الصبح احب له من اربع رقاب وبعد العصر احب
من ثمان رقاب وايضا فيوم الجمعة آخره افضل من اوله لما يرجى في اخره من
ساعة الاجابة ويوم عرفه آخره افضل من اوله لانه وقت الوقوف وكذلك
آخر الليل افضل من اوله كذلك قاله السلف واستدلوا بحديث النزول
الالهي وهذا كله يرجح قول من قال ان صلاة الصبح والعصر هي الوسطى
واما الوقت الثالث فهو الدلجة والادلاج سير آخر الليل والمراد
به ههنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما تقدم والمستغفرين
بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو آخر وقت النزول
المتضمن لاستعراض حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة
التائبين وسط الليل للمخفين المخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين ب
يستغفرون من ذنوبهم من عجز من مشاركة المحبين في الجري مقامهم في
ذكر الصماء فلا اقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار وورد في بعض
الآثار ان العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان احدا
ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا
في الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض
تطوى بالليل

قال ص

لعله للمحبين

اصبر على مضض الادلاج في السحر ... وفي الرواح على الطاعات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ... فالهم يتلف بين الياس والضجر
اني رأيت وفي الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الاثر
وكل من جد في امر تطلبه ... واستصحب الصبر فاز بالظفر

وقد روي ان الاشتر دخل على علي رضي الله عنه بعد هدأة من الليل
وهو قائم يصلي فقال يا امير المؤمنين صوتم بالنهار وسهرت بالليل
وتعبت فيما بينهما فلما فرغ من صلاته انشد هذه الابيات